محاضرات فيديو لاهوتيّة

الوحدة: الوصايا العشر

المحاضرة ١١:

البند ١٠ – مغفرة الخطايا

مُقدّم المحاضرة: القسّ كورنيلس هارينك

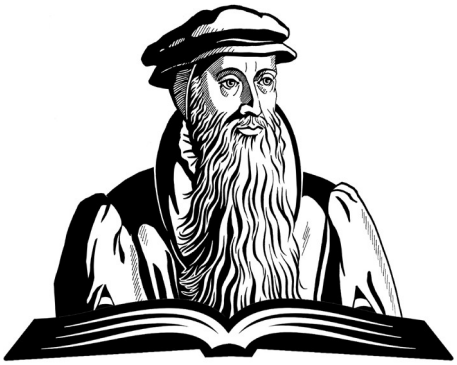

إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

كليّة جون نوكس للتعليم العالي
إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

© ٢٠٢١ من خلال كليّة جون نوكس للتعليم العالي

كلّ الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أيّ جزء من هذه المحاضرات بأيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة لتحقيق الربح، باستثناء استخدام اقتباسات مُختصرة لأغراض المراجعة أو التعليق أو المنح الدراسيّة، من دون الحصول على إذن خطّي من الناشر: كليّة جون نوكس، ص. ب. ١٩٣٩٨، كالامازو، ميشيغان ٤٩٠١٩-١٩٣٩٨، الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

جميع اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستاني – فاندايك، ما لم تتمّ الإشارة إلى خلاف ذلك.
الرجاء زيارة موقعنا: *www.johnknoxinstitute.org*

القسّ كورنيلس هارينك هو خادم فخريّ في كنيسة Gereformeerde Gemeente في هولندا.
www.gergeminfo.nl

وحدة

قانون إيمان الرسل

١٣ محاضرة

مقدّم المحاضرة: القسّ كورنيلس هارينك

١. المقدّمة

٢. البند ١ – الله الآب والخلق

٣. البند ٢ – الرب يسوع المسيح، ابن الله الوحيد

٤. البند ٣ – الحَبَل وولادة المُخلّص العُذريّة

٥. البند ٤ – المسيح المتألّم

٦. البند ٥ – قيامة المسيح

٧. البند ٦ – تمجيد المسيح

٨. البند ٧ – المسيح كديّان الأحياء والأموات

٩. البند ٨ – الله الروح القدس

١٠. البند ٩ – كنيسة المسيح الجامعة

١١. البند ١٠ – مغفرة الخطايا

١٢. البند ١١ – قيامة الجسد

١٣. البند ١٢ – الحياة الأبديّة

قانون إيمان الرسل

القسّ كورنيلس هارينك

المحاضرة ١١:

البند ١٠: مغفرة الخطايا

في البند العاشر من قانون إيمان الرسل، يعترف المسيحي قائلًا: "أؤمن بمغفرة الخطايا." ورغم قصرها، مُحتواها غير اعتيادي. فهي تحتوي على الكثير في كلماتٍ قليلة. يبدو كما لو أنّ هذا الاعتراف مأخوذ مباشرة من المزمور ١٣٠ حيثُ يُطرح السؤال التالي: "إِنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ ٱلْآثَامَ يَا رَبُّ، يَا سَيِّدُ، فَمَنْ يَقِفُ؟" (مزمور ١٣٠: ٣). والإجابة هي: لا أحد. لأنّ "الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣: ٢٣). "ليس بار ولا واحد" (رومية ٣: ١٠). كلّ العالم مذنب أمام الله. ومع ذلك، يتبع ذلك اعتراف بالإيمان: "لِأَنَّ عِنْدَكَ ٱلْمَغْفِرَةَ. لِكَيْ يُخَافَ مِنْكَ" (مزمور ١٣٠: ٤). يا له من اعتراف مُبارك! إنّه بيان عن الله له أهميّة حيويّة لكلّ واحد منّا، وهو أنّه يوجد غفران عند الله. الله يغفر! يغفر الخطيّة والإثم. يُعلن المزمور ١٣٠: "عندك المغفرة." يتحدّث المزمور عن المغفرة بأنّها مُنسجمة مع شخصيّة الله كما الضوء إلى الشمس. يقول: "عندك المغفرة": هي تنتمي إلى الله.

المغفرة عنصر أساسيّ من جوهر الله. والغفران ينبع من طبيعته ونعمته. أعلن الربّ لموسى: "ٱلرَّبُّ إِلَهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ ٱلْغَضَبِ وَكَثِيرُ ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْوَفَاءِ. حَافِظُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ ٱلْإِثْمِ وَٱلْمَعْصِيَةِ وَٱلْخَطِيَّةِ." (خروج ٣٤: ٦ و٧). إنّ الخيرَ والنعمة غير المحدودَيْن هما الينبوع الذي ينبع منه الغفران. "لأنك أنت يا رب صالح وغفور" (مزمور ٨٦: ٥). لو لم يكن الله صالحًا بلا حدود، لما كان هناك غفران. يعلن الكتاب المقدس أنّ اللهَ هو إله المغفرة: "وَأَنْتَ إِلَهٌ غَفُورٌ وَحَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ ٱلرُّوحِ وَكَثِيرُ ٱلرَّحْمَةِ، فَلَمْ تَتْرُكْهُمْ" (نحميا ٩: ١٧). ونقرأ في المزمور ١٠٣ عن الله: "الذي يغفر جميعَ ذنوبِك" (الآية ٣). ويشهد إشعياء عن الله: "يُكْثِرُ ٱلْغُفْرَانَ" (إشعياء ٥٥: ٧).

المغفرة هو الوعد الأعظم في العهد الجديد: "لِأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلَا أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ" (إرميا ٣١: ٣٤). ويعلن العهد الجديد أنّ يوحنا المعمدان ولد "ليعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم" – لوقا ١: ٧٧. لقد غفر يسوع للناس خطاياهم. مُنح سلطان مغفرة الخطايا. غفر خطايا الأعرج، وقال للكتبة والفريسيّين: "لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا" (لوقا ٥: ٢٤). لقد أرسل تلاميذه إلى العالم ليعلنوا غفران الله: "وَأَنْ يُكْرَزَ بِٱسْمِهِ بِٱلتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ ٱلْخَطَايَا لِجَمِيعِ ٱلْأُمَمِ" (لوقا ٢٤: ٤٧). غفران الخطايا هو المحتوى الرئيسي لإعلان الإنجيل. أعلن بطرس عن يسوع، في بيت كرنيليوس: "لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ ٱلْأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِٱسْمِهِ غُفْرَانَ ٱلْخَطَايَا" (أعمال الرسل ١٠: ٤٣). الغفران هو نعمة اكتسبها يسوع لنا. مكتوب في أفسس ١: ٧: "الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته."

المغفرة تفترض وجود الشرّ. يوجد شر يحتاج إلى المغفرة، وهو شرّ الخطيّة. إن بقيت الخطيّة بدون غفران، سنتألّم إلى الأبد. إنّ شرّ الخطيئة فظيع جدًّا. ولكن نشكر لله لأنّه يوجد مغفرة عند الله. قال يسوع للخاطئ التائب: "مغفورة لك خطاياك" (لوقا ٧: ٤٨). علّمنا يسوع أنْ نصلّي: "اغفر لنا ذنوبنا" (متى ٦: ١٢). بالتالي، إنّ المغفرة مرتبطة بالخطيّة والذنب.

البشر يستخفّون في الخطيّة. فهم لا ينظرون إليها باعتبارها تعدّيًا على وصيّة الله المقدّسة. بل باعتبارها خطأً أو ضعفًا أو قرارًا خاطئًا أو نتيجةً لظروفٍ أو لأشخاص معيّنين. وفي أفضل الأحوال، قد ننظر إليها باعتبارها شرًّا نُلحقُه بالآخرين، ولكن ليس شرًّا نرتكبه ضدّ الله. لقد ألغينا فكرة الخطيّة. ونحن نفشل في رؤية مدى عظمة الخطيّة الشرّيرة في نظر الله القدّوس البارّ. ما هي الخطيّة بحسب الكتاب المقدّس؟ يستخدم الكتاب المقدّس كلماتٍ مختلفة للإشارة إليها وإلى ارتكابها. والكلمة الأكثر استخداماً للإشارة إلى الخطيّة تعني "التقصير"، وهي تشير إلى التقصير عن تحقيق الهدف الذي كان ينبغي علينا تحقيقه. وبالتالي، تعبّر عن الفشل والاخفاق. وبحسب الكتاب المقدّس، يفشل الإنسان في تحقيق الغرض الذي خلقه الله عندما يخطئ، أي عندما لا يحبّ الله فوق كلّ شيء، وعندما لا

يُحبّ قريبَه كنفسه. هو يفشل في تحقيق هدفه، وينحرف عن طريق الحياة، ويموت. وبهذا يُحرَم من البركة، وتحلّ عليه اللعنة. يقول الله: "كُلُّ مُبْغِضِيَّ يُحِبُّونَ ٱلْمَوْتَ" (أمثال ٨: ٣٦).

دخلت الخطية إلى العالم بآدم وحوّاء، وفيهما أخطأنا جميعًا. نحن جميعًا من صُلب آدم، وكان هو رأسنا. بالتالي، خطيئتهما هي خطيّة البشريّة جمعاء. يعلّمنا الرسول بولس: "بِمَعْصِيَةِ ٱلْإِنْسَانِ ٱلْوَاحِدِ جُعِلَ ٱلْكَثِيرُونَ خُطَاةً" (رومية ٥: ١٩). خُلقنا لنجدَ سعادتَنا في الله، أي لنُكرمَه ونحبَّه كما هو. بعد أن أصغينا إلى الشيطان، وأردنا أن نكون مثلَ الله، قصّرنا عن تحقيق هدفنا ومصيرنا. لم يعد الإنسان الساقط يحقّق الهدف الذي خلقه الله من أجله. ويختتم الرسول روايته الحزينة عن خطيّة الإنسان الساقط بقوله: "لأنّ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجدَ الله" (رومية ٣: ٢٣).

كلمة أخرى يستخدمها الكتاب المقدّس للإشارة إلى الخطيّة وارتكابها وتعني: "الانحراف عن الطريق الصحيح." إنها وصف لشيء ملتوٍ وخاطئ، ويتجاوز الحدود. عندما يرتكب الإنسان شيئًا غير صحيح، فهو يُخطئ. كتب يوحنّا: "كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ ٱلْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ ٱلتَّعَدِّيَ أَيْضًا. وَٱلْخَطِيَّةُ هِيَ ٱلتَّعَدِّي" (١ يوحنا ٣: ٤). يعتبر الكتاب المقدّس الخطيّة انتهاكًا لشريعة الله. إنّها تجاوز للخطّ الذي رسمه الله في ناموسه، عندما قال: "افعل"، و"لا تفعل." ترسم الوصايا العشر هذا الخطّ بوضوح وتضع الحدود. عندما نتجاوزه، نُخطئ. والنتيجة هي الموت. أيّ عمل ينحرف عن المسار الذي وصفه الله يؤدّي إلى الهلاك: "لأن أجرة الخطيئة هي موت" (رومية ٦: ٢٣). الخطيّة، في الكتاب المقدّس، ليست مُجرّد تعدٍّ ملموس وفعليّ على شريعة الله. الخطيّة تنبع من ميلٍ خاطئ: من طبع الإنسان الساقط الشرّير. علّمنا يسوع: "لِأَنَّهُ مِنَ ٱلدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ ٱلنَّاسِ، تَخْرُجُ ٱلْأَفْكَارُ ٱلشِّرِّيرَةُ: زِنًى، فِسْقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْلٌ. جَمِيعُ هَذِهِ ٱلشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ ٱلدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ ٱلْإِنْسَانَ" (مرقس ٧: ٢١-٢٣).

أخيرًا، يصفُ الكتاب المقدّس الخطيّة بأنّها تمرّد: تمرّدٌ على الله وشريعتِه. وهذه هي الدهشة التي نقرأها في لوقا ١٩: ١٤: "لَا نُرِيدُ أَنَّ هَذَا يَمْلِكُ عَلَيْنَا." الخطيّة هي عصيان وتمرّد. تمرّد على الله، كملكِ الملوك. هكذا يتحدّث المزمور

٢: ٢ و٣ عن الخطيّة: "قَامَ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ، وَتَآمَرَ ٱلرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى ٱلرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ: لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا.

الخطيّة في النهاية هي الضلال. هي تصديق للكذبة التي قالها الشيطان لآدم وحوّاء، وهي أنّ الإنسان يستطيع أنْ يجد السعادة بعيدًا عن الله. اقترحَ الشيطان عليهما أنّ لا شيء يستطيع أن يُسعدهما أكثر من أن يكونا إلهَيْن لأنفسهما، وأنْ يُحدّدا لنفسيهما ما هو خير وشرّ. قال لهما: "بَلِ ٱللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَٱللهِ عَارِفَيْنِ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ" (تكوين ٣: ٥). يا لها من كِذبة! صدّقها آدم وحواء، وهكذا ابتعدا عن الله، عن الراعي الصالح ومرعاه الآمن. وما زلنا نصدّقها. لذلك توصف الخطيّة هكذا في إشعياء ٥٣: "كلنا كغنم ضللنا. ملنا كلّ واحد إلى طريقه." توضّح هذه الشواهد الكتابيّة طبيعة الخطيّة الشرّيرة. إنّها معارضة لمشيئة الله، وتمرّد على مُلكِه، وتجاهل لصلاحه، واحتقار لمحبّته، وخيانةٌ لأمانته. الخطيّة هي الرغبة في أن نكون مثلَ الله. هي كبرياء متغطرس. وبدلًا من تكريم الله، هي تكريم للذات. لقد تمّ تلخيص الخطيّة بشكلٍ صحيح بأنّها شرّ يعارض الله وكلُّ ما يتعلّق به.

لهذا السبب، يكره الله الخطيّة، لأنّها تتعارض مع طبيعته المقدّسة. لا يوجد شيء يتعارض مع الله مثل الخطيّة. فهو لا يستطيع ولا يرغب في فعل أيّ شيء آخر غير معاقبة الخطيّة. ولو كان الله غير مبالٍ بها، لكان مناقضًا لوجوده. فالخطيّة لها عواقب، لأنّها تثير غضبَ الله وتجعلنا عرضةً لُحكم الدينونة.

الخطيّة أيضًا تُنجِّسنا. إنّها مرض يؤثّر على طبيعتنا بالكامل. لقد أظلمت الخطيّة عقولنا، وجعلت إرادتَنا تكره الخير، ودنسّت أهواءَنا. هي أعظم الشرور: حتّى أنّها أسوأ من الموت والجحيم. فلو لم تكن الخطيّة موجودة لما كان هناك موت ولا جحيم. الخطيّة تثير غضب الله: "لأن غضب الله معلن من السماء على كلّ فجور الناس وإثمهم" (رومية ١: ١٨). هذا يقودنا إلى السؤال: كيف يمكن لله أنْ يغفرَ مثل هذا الشرّ؟ كيف يمكن أن تُغفر خطاياي؟

عندما يُخطئ الناس أو يفشلون، يقولون: "أنا مُجرّد إنسان خاطئ." يعترف الناس بسهولة أنّهم خطاة. سيعترفون بأنّهم

ليسوا كاملين وأنّ كل شيء ليس كما ينبغي أن يكون في حياتِهم. ومع ذلك، الناس لا يهتمّون كثيرًا بهذا الأمر. فبعد كلّ شيء، يوجد غفران مع الله. يظنّ كلُّ الناس أنّ الله يغفر الخطايا. أليس هو الله لهذا الغرض بالذات؟ عند البعض الآخر عقليّة أكثر جديّة. فهم يعتبرون الندم والاعتراف بالذنب والتوبة، وخاصة الإيمان بيسوع المسيح، ضرورة لضمان غفران الله. وقلّة قليلة يؤمنون بضرورة الدم والمصالحة من خلال دم يسوع المسيح، ابن الله.

السؤال المطروح هو: كيف يمكن للإله القدّوس أنْ يغفرَ الخطيّة؟ يبدو أنّ غفرانَ الخطيّة يتناقض مع قداسة الله وعدالته. يكشف الله عن نفسه كإله قدوس في الكتاب المقدّس. لا يمكنه أنْ يتسامحَ مع الشرّ في حضوره: "عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا ٱلشَّرَّ، وَلَا تَسْتَطِيعُ ٱلنَّظَرَ إِلَى ٱلْجَوْرِ" (حبقوق ١: ١٣). يُعلّمنا الكتاب المقدّس بشكل قاطع أنّ الله لا يمكن أن يترك الخطيّة بدون عقاب. عندما أعلن الربّ اسمَه وطبيعته لموسى، قال: "الربّ... لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ ٱلْآبَاءِ فِي ٱلْأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ ٱلْأَبْنَاءِ، فِي ٱلْجِيلِ ٱلثَّالِثِ وَٱلرَّابِعِ" (خروج ٣٤: ٦ و٧). كيف يمكن لله أنْ يغفرَ لنا تجاوزاتنا لوصاياه، حتّى لا يتذكّر خطايانا مرّة أخرى؟ كيف يستطيع أن يعلن، كما نقرأ في إشعياء ٤٣: ٢٥: "أَنَا أَنَا هُوَ ٱلْمَاحِي ذُنُوبَكَ لِأَجْلِ نَفْسِي، وَخَطَايَاكَ لَا أَذْكُرُهَا." كيف يستطيع الله أنْ يحافظَ على قداسته وعدله، ويغفر للخاطئ؟

هنا تجد محبّةُ الله وحكمتُه طريقةً لتعاقب الخطيّة وتُخلّص الخاطئ. إنّها الطريقة المُذهلة لموت يسوع المسيح النيابي والبديلي الذي كان يُرمز إليه في ذبيحة العهد القديم، والذي كرز بها إنجيل العهد الجديد. تحقّقت كلمات إبراهيم لإسحق: "ٱللهُ يَرَى لَهُ ٱلْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ٱبْنِي" (تكوين ٢٢: ٨) وفّر اللهُ خروفًا للذبيحة. وعيّن ابنَه ليكون ضامنًا ووسيطًا للخطاة. عاقب خطيّة كنيسته المختارة في يسوع الضامن والمخلّص، لكي يقدر أنْ يغفر للخطاة. "لِأَنَّهُ جَعَلَ ٱلَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لِأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ ٱللهِ فِيهِ" (٢ كورنثوس ٥: ٢١). إنّ غفرانَ الله يرتكز على ذبيحة المسيح. إنّ آلام يسوع وموته نيابة عن الخطاة هو الأساس لغفران الله.

لذلك يقول الرسول بولس عن يسوع: "ٱلَّذِي قَدَّمَهُ ٱللهُ كَفَّارَةً بِٱلْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ ٱلصَّفْحِ عَنِ ٱلْخَطَايَا

ٱلسَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ ٱللهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ بِيَسُوعَ." (رومية ٣: ٢٥ و٢٦). في المسيح، يُنفّذ اللهُ الحكمَ على الخطيّة ويبرّئ المؤمن. في المسيح، يستطيع الله أنْ يغفرَ بدون أن يتناقض ذلك مع قداسته وعدالته. لكن النعمة هي المنتصرة، ليس على حساب البرّ، بل على أساسه. في رومية ٥: ٢١، يوضح الرسول أنّ البرّ والنعمة التقيا في المسيح. يقول: "حَتَّى كَمَا مَلَكَتِ ٱلْخَطِيَّةُ فِي ٱلْمَوْتِ، هَكَذَا تَمْلِكُ ٱلنِّعْمَةُ بِٱلْبِرِّ، لِلْحَيَاةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ، بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ رَبِّنَا." هذه هي الطريقة الرائعة للفداء التي يكشفها الله لنا في يسوع المسيح في الإنجيل. إنّها طريقة فداء تشهد على محبّةٍ لا توصف. "ٱلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ٱبْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ" (رومية ٨: ٣٢). إنّها إعلانُ حكمةِ الله الرائعة. "يَا لَعُمْقِ غِنَى ٱللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ!" (رومية ١١: ٣٣). حكمتُه هي أوجدت هذا الطريق للخلاص.

هذه هي الأمور التي كان الملائكة مشتاقين أن ينظروا إليها: ١ بطرس ١: ١٢. إنّها "سرّ الإنجيل"، الذي يتحدّث عنه بولس قائلًا: "لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلَامٌ عِنْدَ ٱفْتِتَاحِ فَمِي، لِأُعْلِمَ جِهَارًا بِسِرِّ ٱلْإِنْجِيلِ" (أفسس ٦: ١٩). تشير الكلمة اليونانيّة للسر، "mysterion"، إلى سرّ يُشف. يستخدم العهد الجديد هذه الكلمة لأشياء مختلفة، مثل سرّ الأزمنة الأخيرة، وقيامة الأموات، ومستقبل شعب إسرائيل. ومع ذلك، في أغلب الأحيان، تُستخدم هذه الكلمة للكرازة بالإنجيل. الكرازة بالإنجيل هي كشف وإعلان خطّة الله للفداء. إنّها الكشف عن سرّ.

تمّ حلُّ مُشكلة الخطيّة في المسيح الإله المتجسّد. يوجد غفران عند الله. تمّ إدانة الخطيّة في المسيح، وتمّ تلبية عدالة الله. تمّ إنجاز عمل الفداء العظيم. تمّ القضاء على الخطيّة، وإدخال البرّ الأبدي. يوجد الآن غفران للخطايا لكلّ من يؤمن بالمسيح المصلوب. ما أجمل صوت الكرازة بالإنجيل! يوجد غفران عند الله للمذنبين المدانين بالموت. إنَّ بابَ رحمةِ الله مفتوح كلّ اليوم. كلّ من يأتي طالبًا الرحمة والمغفرة لن يعود فارغًا.

خرج الرسل إلى العالم برسالة مبهجة جلبت الخلاص لعالم هالك في الخطايا والذنوب. في مزمور ٣٢: ١، يقول

داود: "طوبى للذي غُفر إثمُه وسُتِرت خطيّته." إن الذي غُفرت خطاياه هو شخص مُبارك. إنّ معرفة مغفرة الخطايا هي أعظم البركات على الإطلاق. إن الرجل المبارك هو الذي يستطيع أن يقول: أنا خاطئ غُفرت خطاياي. ولكن كيف يحصل الإنسان على هذه البَرَكة؟ يربط الكتاب المقدّس بين مغفرة الخطايا ومعرفة الخطيّة والتوبة والإيمان بيسوع المسيح. يوجد طريق يؤدّي إلى المغفرة. ومن المهمّ جدًّا ألّا نحيدَ عن هذا الطريق. إنّ مُجرّدَ افتراضِ أنّ يسوع مات من أجل خطايانا من دون توبة وإيمان به ومن دون تجديد الحياة، هو وهم وخداع خطير. لن تشفى جراحُنا الروحيّة هكذا. إنّ المغفرة في الكتاب المقدس مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمعرفة الخطيّة والتوبة والإيمان بيسوع المسيح. إنّ معرفة خطايانا ووجودنا كخطاة يؤدّي إلى طلبِ مغفرة الله. لا يمكنك أن تتوقّع من الناس أنْ يُصلّوا من أجل مغفرة خطاياهم التي يجهلونها. في المزمور ٥١، يقول داود: "لأني عارف بمعاصي وخطيئتي أمامي في كلّ حين." قاد الله داود إلى هذا الاعتراف. كان على الله أنْ يُقنعَه بشرّه الفظيع. لم يكن داود نفسه مُدركًا للشرّ العظيم الذي ارتكَبَه. أدرك داود أوّلًا خطيّة زناه مع بثشبع وقتْلِه لأوريّا، عندما لفتَ النبيّ ناثان انتباهَه إليها. قبل ذلك، تغاضى عن خطيّته واعتبر ما فعلَه أمرًا طبيعيًّا. ألا يفعل كلُّ الملوكِ مثل هذه الأشياء؟ فلماذا لم يقدر أن يفعلها؟ ولكن، عندما جاء إليه ناثان وأخبره برأي الله بشأن قتله أوريا وزناه مع بثشبع، اعترف قائلًا: "لقد أخطأت إلى الربّ" (٢ صموئيل ١٢: ١٣). لن يصل الإنسان إلى المعرفة الصحيحة بخطاياه إلّا عندما يواجه الله وجهًا لوجه. لن ندركَ معنى الخطيّة في عينَيْ الله الأزلي القدّوس والعادل حتّى يُظهرَ لنا ذلك. قال موسى: "قَدْ جَعَلْتَ آثَامَنَا أَمَامَكَ، خَفِيَّاتِنَا فِي ضَوْءِ وَجْهِكَ" (مزمور ٩٠: ٨). إنّ أولَ ما نحتاج إليه هو أنْ ينيرَ اللهُ قلوبَنا، ويرينا أنّنا نتعدّى على وصاياه المقدّسة، وأنّنا بسبب خطايانا نثير غضبه. لا بدّ أن نواجَه بخطايانا. وما دام الإنسان لا يرى خطاياه، فلن يطلبَ المغفرة. إنّ معرفة المرض هي الخطوة الأولى نحو الشفاء. ورغم أنّ الله هو الذي يُحدّد عُمق هذه المعرفة، إلّا أنّ مقياس معرفة الإنسان بخطيّته ووجوده الخاطئ لا بدّ أنْ يُضطرُّه إلى طلبِ المغفرة من الله.

يربط الكتاب المقدّس أيضًا بين غفران الخطايا والتوبة. فمع أنّ يسوع فوّض تلاميذَه بإعلان غفرانِ الله لكلّ الناس، إلّا

أنّه لا يحقّ لهم أن يفعلوا ذلك بدون دعوتهم إلى التوبة. أمرهم: "أَنْ يُكْرَزَ بِٱسْمِهِ بِٱلتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ ٱلْخَطَايَا" (لوقا ٢٤: ٤٧). والكلمة اليونانيّة التي تُرجمت إلى "التوبة" هي "ميتانويا." وتعني: طريقة مختلفة للتفكير في الله ونفسك، والعودة إلى الله بندم على الخطيّة. ربط يسوع غفران الخطايا بهذه التوبة. فالتوبة تجعل الغفران حُلوًا. عندما سعى داود إلى تغطية خطيّته وعدم الاعتراف بها أمام الله، اتّهمه ضميرُه، وشعر بعدم رضا الله عنه. كم تغيّر كلُّ شيء عندما اعترفَ بخطيّته أمامَ الله! يقول: "أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلَا أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي. سِلَاهْ" (مزمور ٣٢: ٥). أدّى اعترافُه بذنبه وخطيّته إلى الغفران. يُسلّط الكتاب المقدّس بأكمله الضوءَ على هذه الصلة بين التوبة والمغفرة. كتب الرسول يوحنّا: "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتّى يغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كلّ إثم." (١ يوحنّا ١: ٩.) شعورنا بشرّ خطايانا، مصحوبًا بندمٍ صادق، هو الطريق الذي يؤدّي إلى مغفرة خطايانا.

غفران الخطايا مرتبط بالإيمان بيسوع المسيح. فعندما خاطب بولس اليهود في المَجْمع، الذين كانوا يعتقدون أنّهم يستطيعون أن يتبرروا أمام الله بحفظ الناموس، قال: " فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ ٱلْإِخْوَةُ، أَنَّهُ بِهَذَا يُنَادَى لَكُمْ بِغُفْرَانِ ٱلْخَطَايَا، ٣٩ وَبِهَذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ شيء" (أعمال الرسل ١٣: ٣٨-٣٩). إن بركة غفران خطايانا العظيمة لا تتحقّق بالأعمال الصالحة، أو أعمال التوبة، أو دموع الندم، أو الصلوات الحارّة، بل بمجرّد الإيمان بالمسيح. نحن نتبرّر في نظر الله بالاتّكال على دم وبرّ يسوع. نحن لا نتبرّر أمام الله بأعمال الناموس، بل فقط بالإيمان بيسوع المسيح. والإنجيل يعلن غفران الخطايا لكلّ من يؤمن بالمسيح المصلوب. وبالتالي، يرتبط غفران الخطايا ارتباطاً وثيقًا بموت يسوع الكفّاري. نقرأ في رومية ٣: " مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِٱلْفِدَاءِ ٱلَّذِي بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ" (الآية ٢٤). قال يسوع عن نفسه: " لِأَنَّ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مرقس ١٠: ٤٥). جاء ليدفع فدية ويفدي عبيد الخطيّة والشيطان. يقول إشعياء عن يسوع المسيح، "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (إشعياء ٥٣: ٥). قال يوحنا المعمدان عن يسوع

إنّه "هُوَذَا حَمَلُ ٱللهِ ٱلَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ ٱلْعَالَمِ" (يوحنا ١: ٢٩). يقول يوحنّا عن يسوع: "وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ" (١ يوحنا ٣: ٥). أعلن الرسل بجرأة أنّه لا غفران للخطايا بدون الإيمان بيسوع المسيح. الإيمان بمغفرة الخطايا يرتكز على الوعد بأنّ كلّ من يؤمن بيسوع المصلوب سينال غفران الخطايا. قال بطرس للشعب المجتمع في بيت كورنيليوس: "لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ ٱلْأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِٱسْمِهِ غُفْرَانَ ٱلْخَطَايَا" (أعمال الرسل ١٠: ٤٣). ليس عن طريق العمل أو الاستحقاق، ولكن بالإيمان بآلام وموت يسوع الكفّاري نحصل على غفران خطايانا.

للأسف، هذا التعليم الكتابيّ المحرِّر يُساء استخدامه كثيرًا. كثيرون يقولون: "عليك فقط أن تؤمن بأنك خاطئ؛ وأن يسوع هو المخلّص، فتُغفر بالتالي خطاياك." ولكن هذا الإيمان الذهنيّ، لا يأتي بالمغفرة الحقيقيّة للخطايا والسلام مع الله في قلوبنا. الإيمان الحقيقيّ والكتابيّ هو النقطة المحوريّة هنا. يرتبط هذا الإيمان بمعرفة الخطيّة والتوبة والعزاء في العمل المكتمل ليسوع. والإيمان الذي يأتي بمغفرة الخطايا والسلام مع الله في قلوبنا هو إيمان التوبة. الإيمان والتوبة توأمان غير مُنفصلّين. عندما تفصل بينهما يموتان. لا يمكنك إلّا أن تنظر إلى صليب الجلجثة، وإلى يسوع المصلوب من أجل غفران الخطيّة، كخاطئ مذنب نادم. إنّ الإيمان بآلام وموت يسوع من أجل خطايانا، يجلب السلام إلى القلب التائب. لذلك يُطلق على هذا "نظرة الحياة". مُجرّد نظرة يكفي. ولتعزيتنا، يمكننا أنْ نقولَ إنّ خلاصَنا لا يعتمد على قوّة إيماننا، بل على استيفاء المسيح بالإيمان. لقد شُفيت المرأة التي كانت تعاني من نزيف الدم، فقط من خلال لمس ثوب يسوع.

أخيرًا، إنّ غفران الخطايا يصاحبه التخلّي عن الخطيّة. جاء يسوع ليخلّص شعبَه من خطاياهم، لا لكي يبقوا في خطاياهم. هو لا يتركنا في الخطيّة، بل يحرّرنا من قوّتها. لا شيء يقدر أن يكسر قوّة الخطيئة، ويُغذّي محبّتنا لوصايا الله، مثل معرفة محبّة المسيح، الذي ضحّى بنفسه من أجل مغفرة خطايانا. إنّ مسيرةَ الحياة المسيحيّة

المتجدّدة هي أفضل دليل على أنّ خطايانا قد غُفرت. يا له من اعتراف مبارك: "أؤمن بمغفرة الخطايا." عندما كان مارتن لوثر مضطربًا بشدّة من قداسة الله وإدراكه لخطاياه، سأله الأب فون ستوبيتز إنْ كان قد تلا قانون إيمان الرسل في ذلك الصباح. كان يفعل ذلك بشكل طبيعيّ، لأنّ تكراره كان من طقوس الدير. ثمّ سأل فون ستوبيتز لوثر اليائس: "ألم تعترف قائلًا: "أؤمن بمغفرة الخطايا"؟"